آدم والمسيح
(روم ٥: ١٢-٢١)

الخوري نعمةالله الخوري

«أجرة الخطيئة هي الموت»

الموت : مجموعة شُتَمِّلْ (Stammel) في مكتبة دير أدمون في ستيريا، النمسا

Voir *En ce temps-*
La Bible, 87 (1971) 20

مقدمة

أعلن القديس بولس في الفصول الثلاثة الأولى من رسالته إلى أهل روما (روم ١: ١٨-٣: ٢٠) أنّ اليهود والوثنيّين هم تحت سلطة الخطيئة؛ لقد حُرم جميع الناس من مجد اللّه، ولا تستطيع الشريعة، ولا حتى شريعة موسى، أن تُعطي الناس التبرير. بعد أن عرض بولس الرسول هذه الصورة المظلمة عن البشريّة الخاطئة، انتقل إلى مرحلة ثانية من تاريخ الخلاص، وهذه المرحلة تبدأ مع التبرير الذي منحه المسيح لجميع الناس الخطأة (روم ٣: ٢١-٣١).

في هذا الاطار كتب بولس المقطع الذي نعالجه من الرسالة إلى الرومانيّين (روم ٥: ١٢-٢١)، حيث يريد أن يبرهن أنّ آدم هو سبب وضع البشريّة الخاطئة، في حين أنّ المسيح هو الذي حرّر البشريّة من عبوديّة الخطيئة.

سنحاول أن نشرح المقارنة بين صورة آدم وصورة المسيح لنفهم العلاقة التي تربط الانسان الأول بالمسيح الذي تجسّد في ملء الأزمنة.

أولاً : الانسان الأول الذي أدخل الخطيئة إلى العالم

يقول القديس بولس في بداية تحليله : «فكما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد...» (روم ٥: ١٢)؛ نلاحظ أنّه لا يذكر بشكل واضح وصريح اسم آدم الذي ارتكب الخطيئة الأولى، بل هو يشير إلى إنسان واحد أدخل الخطيئة إلى العالم؛ ممّا لا شك فيه أنّ الانسان الأول المقصود هو آدم، ولكنّ اسمه لا يظهر صراحة. غير أنّ الرسول أشار إلى آدم بشكل واضح في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس حيث يقول : «عن يد إنسان أتى الموت، فمن يد إنسان أيضاً تكون قيامة الأموات، وكما يموت جميع الناس في آدم، فكذلك سيحيون جميعاً في المسيح» (١ قور ١٥: ٢١-٢٢)؛ في هذا المقطع من الرسالة الى أهل قورنتس، يقارن بولس بين آدم سبب الموت وبين المسيح سبب الحياة، ولكنّنا لا نعلم ما هو السبب الذي أدخل الموت إلى العالم، غير أنّ المقارنة بين آدم والمسيح في الرسالة إلى أهل روما لها بُعد آخر: يقول بولس الرسول للرومانيّين أنّ خطيئة الانسان

الأوّل هي السبب الذي أدخل الموت إلى العالم، وهذا يعني أنّه توجد علاقة بين الخطيئة والموت.

ثانياً : المقارنة بين صورة آدم وصورة المسيح

تكلّم بولس، في بداية رسالته إلى أهل روما، على البشريّة الخاطئة؛ أراد أن يبرهن الآن بواسطة الكتاب المقدّس سبب دخول هذه الخطيئة إلى العالم، لذلك عاد إلى بداية الكون حين وقع آدم في المعصية، واعتبر الرسول أنّ هذه الزلّة هي التي جرّت البشريّة إلى الهلاك. هذه البشريّة التي تتخبّط في الظلام هي بحاجة ماسّة إلى الخلاص والتبرير الذي قدّمه المسيح. إنّ المقارنة بين صورة آدم الخاطئ وصورة المسيح المبرّر تجعلنا ندرك أهميّة الخلاص الذي ناله الناس من الرب يسوع.

١ - آدم الخاطئ (آ ١٢)

لاحظ بولس أنّ غضب اللّه وحكمه على البشر هما نتيجة لخطيئة الانسان الأوّل، وهذا الانسان هو بلا شك آدم، لذلك بدأ المقارنة بين آدم والمسيح بقوله: «فكما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنّهم جميعاً خطئوا...» (روم ٥:١٢). إذا قرأنا هذه الآية بتمعّن نلاحظ أنّ المقارنة هي ناقصة، إذ تتضمّن القسم الأوّل من التشبيه، ولكنّها تفتقد إلى القسم الثاني؛ فالرسول يبدأ قوله بعبارة : «فكما أنّ...بانسان»، ولكنّنا نستغرب أنّنا لا نعرف من هو الشخص الذي يضعه بولس إزاء آدم في هذه المقارنة؛ فمن المفروض أصلاً أن يتضمّن التشبيه عنصرين مختلفين : يبدأ التشبيه بكلمة «كما»، ثمّ يكتمل بكلمة «كذلك»؛ نعطي مثلاً على ذلك قول يسوع بعد شفاء مقعد بيت ذاتا: «فكما أنّ الآب يقيم الموتى ويُحييهم، كذلك الابن يُحيي من يشاء» (يو ٥:٢١).

غير أنّ التشبيه الذي بدأ بولس تحليله في روم ٥:١٢ يبقى ناقصاً، فنحن نفهم أن آدم هو سبب وضع البشريّة الخاطئة، ولكن الرسول لم يُكمل تشبيهه ليعرض، إزاء آدم، صورة المسيح الذي أعطى التبرير والخلاص. بعبارة أخرى نقول: لكي يكون التشبيه كاملاً، كان من المفروض أن يعرض الرسول كلامه على الشكل التالي : «فكما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد (آدم) وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنّهم جميعاً خطئوا، كذلك البر دخل في العالم عن يد إنسان واحد (المسيح)، وبالبر دخلت الحياة، وهكذا عمّت الحياة جميع الناس لأنّهم جميعاً تبرّروا». إنّ إعادة البناء هذه لها ما يبرّرها، لأنّها تتطابق مع تعليم الرسول في الفصول الثلاثة الأولى من رسالته إلى أهل روما : كما شرحت صورة آدم وضع البشريّة الخاطئة، كذلك يجب أن تشرح صورة المسيح (الغائبة عن التحليل) وضع البشريّة المبرّرة.

إنّنا نتساءل : لماذا قطع بولس المقارنة بين آدم والمسيح في آ ١٢، وعالج في الآيتين اللاحقتين (آ ١٣-١٤) موضوعاً آخراً، وهو دور الشريعة في تاريخ الخلاص، ثمّ عاد ليتحدّث من جديد عن المقارنة بين آدم والمسيح في آ ١٥ وآ ١٨؟ للإجابة عن هذا السؤال، علينا أن نفهم معنى الآيتين ١٣ و١٤ اللّتين اقحمهما الرسول حين أراد أن يقارن بين آدم والمسيح.

٢ - دور الشريعة في تاريخ الخلاص (٥:١٣-١٤)

يقول بولس الرسول : «فالخطيئة كانت في العالم إلى عهد الشريعة، ومع أنّه لا تُحسب خطيئة على فاعلها إذا لم تكن هناك شريعة، فقد ساد الموت من عهد آدم إلى عهد موسى، ساد حتى على الذين لم يرتكبوا خطيئة تُشبه معصية آدم، وهو صورة للذي سيأتي» (روم ٥:١٣-١٤). إنّ الشريعة التي أعطاها موسى هي التي حدّدت أنواع الخطايا؛ فبعد أن نال موسى لوحي الوصايا في جبل سيناء، قال للشعب العبراني إنّ الزنى والقتل والسرقة... هي خطايا يجب الابتعاد عنها. هذا يعني أنّه قبل أن يعطي موسى الشريعة لم تكن هناك خطايا، فكيف يمكن للرسول أن يبرهن أنّ الانسان الأوّل جرّ البشريّة إلى الموت بسبب ارتكابه الخطيئة، والرسول يعلم أنّ آدم قد خطئ قبل ظهور الشريعة؟ يقول بولس في هذا الأمر : «لا يمكن أن تُحسب خطيئة على فاعلها إذا لم تكن هناك شريعة» (٥:١٣).

من الواضح أنّ الرسول، حين تكلّم عن خطيئة الانسان الأوّل، أوجد تناقضاً مع تعليم الشريعة التي تنفي وجود الخطيئة قبل مجيء موسى؛ لذلك قطع مقارنته بين آدم والمسيح في آ ٢١، ليبرّر وجود الخطيئة قبل مجيء شريعة موسى. قلّل بولس في الآيتين ١٣ و١٤ من أهميّة الشريعة، واعتبر أن الشريعة الالهيّة التي أعطاها اللّه لآدم في الفردوس هي التي تحدّد الخطيئة؛ قال اللّه لآدم: «من جميع شجر الجنّة تأكل أكلاً،

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2068.

«لا يتبرّر إنسان أمام اللّه بأعمال الشريعة»

ميزان العدل الالهي؛ رأس عامود كنيسة مار بطرس في شوڤينيي (Chauvigny)، ڤيينّا، من القرن الثاني عشر

وأمّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنّك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢:١٦-١٧). خالف آدم وصيّة اللّه ووقع في الخطيئة، وذلك قبل ظهور شريعة موسى بفترة طويلة من الزمن. بعبارة أخرى، يريد الرسول أن يقول في الآيتين ١٣ و١٤ أنّ الموت لم يتسلّط على الناس نتيجة لطبيعة الخطيئة التي دخلت إلى العالم من جرّاء معصية آدم.

باختصار نقول: إنّ بولس يريد التشديد على صورة آدم، وفي الوقت عينه يريد التقليل من دور الشريعة في تاريخ الخلاص. كلّ شيء يجري بين قطبين : آدم والمسيح، أمّا الشريعة التي ظهرت في أيّام موسى فلها أهميّة محدودة ونسبيّة؛ من الآن فصاعداً لا يستطيع اليهود الموجودون في روما أن يتباهوا أمام الوثنيّين أنّ اللّه خصّهم بالشريعة دون سواهم من الشعوب : جميع الناس يخضعون للشريعة الالهيّة التي أعطاها اللّه لأبيهم آدم؛ فاليهود والوثنيّون هم متساوون لأنّهم أبناء آدم الخاطئ. هنا نذكر أنّ سلالة يسوع بحسب متّى (مت ١:١-١٧) انطلقت من ابراهيم لتدلّ على انتماء يسوع إلى الشعب اليهودي، في حين أنّ لوقا يصعد بسلالة يسوع إلى أبعد من ابراهيم، فيصل إلى آدم ليبرهن عن تجذّر يسوع في تاريخ البشريّة جمعاء؛ فهو جاء يعطي الخلاص لجميع الشعوب. هنا يلتقي لوقا مع بولس في تعليمهما حول شموليّة الخلاص لجميع الناس، ونحن نعلم أنّ لوقا كان يرافق أحياناً بولس في رحلاته الرسوليّة، فلا نستغرب التطابق بين تعليمهما.

٣ - المسيح معطي التبرير (آ ١٥-٢١)

بعد أن بدأ بولس تحليله انطلاقاً من آدم الخاطئ، وبعد أن قطع هذا التحليل ليتحدّث عن دور الشريعة في تاريخ الخلاص، عاد إلى المقارنة بين آدم والمسيح في الآيات ١٥-٢١، ليشير إلى أهميّة دور المسيح.

في آ ١٥ يقارن بولس بين زلّة آدم وعطيّة المسيح : «ولكن ليست الهبة كمثل الزلّة : فإذا كانت جماعة الناس قد ماتت بزلّة إنسان واحد، فبالأحرى كثيراً أن تفيض على جماعة الناس نعمة اللّه والعطاء الممنوح بنعمة إنسان واحد، ألا وهو يسوع المسيح».

في آ ١٥ وفي آ ١٧. لا تدلّ عبارة «بالأحرى كثيراً» على المساواة بين آدم والمسيح، بل على مفاضلة، لأنّه لا مجال للمقارنة بين آدم والمسيح. يعتبر بولس أنّه لا يجب أن نضع على مستوى واحد الخطيئة والحكم والموت التي قدّمها آدم للبشريّة، إزاء النعمة والبر والحياة التي أعطاها المسيح للبشريّة. أراد الرسول أن

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2074.

أتجهلون أنّ جميعاً نحن الذين عُمّدنا بالمسيح، بموته قد عُمّدنا ؟ (روم ٦:٣)

جرن معموديّة فريد في صحن كنيسة القدّيس نقولا في جزيرة پاروس (Paros)

كذلك في آ ١٨ يعرض الرسول المقارنة عينها ولكن بوضوح أكثر : «فكما أنّ زلّة إنسان واحد أفضت بجميع الناس إلى الإدانة، فكذلك برّ إنسان واحد يأتي جميع الناس بالتبرير الذي يهب الحياة». نشير هنا إلى أنّ الرسول بولس يعرض جزئياً في آ ١٨ التحليل المقطوع في آ ٢١؛ فالمقارنة بين آدم والمسيح هي واضحة هنا في هذه الآية. يظهر المسيح في هذه المقارنة متفوّقاً على الانسان الأوّل؛ وللوصول إلى الهدف، استعمل بولس برهاناً يستند إلى عبارة «بالأحرى كثيراً» التي نجدها يبرهن أنّه لا توجد مساواة بين آدم الخاطئ والمسيح المُبرِّر، بالرغم من أنّه في كلتا الحالتين ما يصنعه الواحد منهما يطال جميع الناس.

يسمّي بولس آدم «صورة الذي سيأتي» (آ ١٤)؛ هذه العبارة تعني أنّ آدم هو في تصميم اللّه صورة وشبه للمسيح الذي سيأتي؛ إنّ معنى وجود آدم ودوره في تاريخ الخلاص لم يظهرا إلاّ بمجيء المسيح، وبالتالي إنّ تضامن جميع الناس مع آدم في الخطيئة لا يتّضح معناه إلاّ بتضامن الناس مع المسيح في الحياة والبرّ.

خاتمة

وجد الشرّاح عبر العصور في هذا المقطع من الرسالة إلى الرومانيّين الذي عالجناه، برهاناً كتابيّاً عن وجود الخطيئة الأصليّة في العالم منذ بداية الخليقة. أشار الرسول إلى هذه المعصية الأولى، ولكنّه في الوقت عينه تكلّم عن خطايا الناس الشخصيّة (آ ١٢) ليبرز المساواة بين جميع الناس في الخطيئة. إنّ خطايا الناس الشخصيّة لا يمكن أن نفصلها عن خطيئة آدم التي أدخلت الموت إلى العالم. لقد أضحى جميع الناس الذين يرزحون تحت نير الخطيئة، بحاجة ماسّة إلى نعمة المسيح وتبريره، لأنّ عمل المسيح الخلاصي يحقّق إعادة التوازن في الخلل الذي سبّبه آدم. إن المؤمنين الذين ينالون الخلاص بالمسيح يغيّرون انتماءهم وهويّتهم : قبل التعرّف إلى المسيح كان الناس الخطأة يُعتبرون من ذريّة آدم ونسله، ولكن بعد أن نال الناس التبرير بيسوع المسيح أصبحوا خليقة جديدة، وقد وُلدوا ولادة ثانية في مياه المعموديّة التي تطهّر خطاياهم.

المراجع:

الفغالي الخوري بولس، **رسالة القديس بولس إلى الرومانيين** (سلسلة محطات كتابية ١؛ المطبعة البولسية، جونيه، لبنان ١٩٩٥) ١٢٦-١٣٤.

مجموعة محاضرين، رسائل القديس بولس (سلسلة محاضرات، دير مار روكز، الدكوانة، لبنان ١٩٩٩) ٢٣-٤١.

Jean-Noël ALETTI, *Comment Dieu est-il juste? Clefs pour interpréter l'épître aux Romains* (Seuil: Paris 1991) 228ss.

Charles PERROT, *L'épître aux Romains* (Cahiers Evangile 65; Cerf: Paris 1988), spéc. 32-35.